



## باقية ياسمين للأديب علي نار

# الطفولة حينما تصبح أدباً



د. حلمي محمد القاعود - مصر

من المؤكد أن معرفتنا نحن العرب بأدب الطفل لدى الشعوب الإسلامية تبدو متواضعة للغاية بسبب تركيزنا على معرفة كل ما يصدر عن المركزية الأوروبية، في حديثها وقديمها على السواء، مع أن الشعوب الإسلامية على اختلاف لغاتها تملك أدبا إنسانيا راقيا للأطفال. وللأسف فإن معظم هذا الأدب لم ينقل إلى العربية، وهي الأقرب إليه روحا ووجدانا وعاطفة، لأنه يمتح من معين واحد، وهو الثقافة الإسلامية وتراثها المضيء.

الفنية، التي تؤكد نجاح العمل الأدبي وتأثيره في الجمهور. بدأ علي نار الكتابة في المرحلة الثانوية، ونشر أولى تجاربه الشعرية عام ١٩٦٠م، وبعد عشر سنوات انتقل من نشر إنتاجه الأدبي في الصحف المحلية، إلى الصحف العامة ذات الانتشار في عموم تركيا. وأشرف على بعض الصفحات الأدبية في هذه الصحف، وتنوع إنتاجه بين الشعر

إسطنبول خارج السرب العلماني المتماهي مع الثقافة الأدبية التي ترى في الإسلام عائقا يعوق عن التقدم والتحضر. ولكن علي نار يرى في الإسلام واحة حقيقية للحضارة، ويدرك جيدا المصاعب والمتاعب التي تعوق الأمة الإسلامية عن العمل والرقى، وفي الوقت ذاته لا يكف عن تأكيد ضرورة التماس عناصر القوة من أي مكان على ظهر الأرض، حتى في المجال الأدبي الإسلامي، فهو لا يفقل المعطيات

وقد أسعدني أن أقرأ أخيراً مجموعة قصصية للأطفال منقولة عن التركية، كتبها الأديب الشاعر علي نار، (باقية ياسمين)، وترجمها إلى العربية شمس الدين درمش، وصدرت عن مكتبة العبيكان ضمن إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

وعلي نار من الأدباء الإسلاميين الأتراك العثمانيين، ويمكن وصفه بأنه من القابضين على الجمر، حيث يفرد مع أدباء قلائل في

وبعضها الثالث من الشخصيات التراثية الشعبية، وبعضها الآخر يدور في عالم الطيور والحيوانات والجمادات.

وأبرز ملامح المجموعة يتميز في الصياغة، التي تعتمد على التصوير الحي، والمعنى الدقيق، والجمل القصيرة التي لا تورط الطفل في البحث عن الدلالة. ولكنها تعطيها له مباشرة، فضلا عن البناء القائم على التشويق والجذب.

### «باقة ياسمين المترجمة إلى العربية»

وتبغني الإشارة هنا إلى رقي الترجمة صياغة وبناء ومعجما. وقد بذل المترجم شمس الدين درمش جهدا ملحوظا في اختيار المقابل العربي من الألفاظ والمعنى والجمل، التي تعطي القصة للطفل في أيسر صورة، سواء في وضع الجمل، أو تشكيلها، أو علامات الترقيم، أضف إلى ذلك الرسوم التي زينت صفات المجموعة، وأعطت إشارة ما إلى المضمون مع أنها قليلة بصفة عامة.

### وقفات مع قصص المجموعة السبع:

تهدف المجموعة إلى غايات كبرى ونبيلة، من خلال القيم التي دعت إليها القصص، مع

يبتعد عن المباشرة والوعظية، ويهتم بالصياغة الفنية والبناء القصصي المحكم الذي يقدم رسالته بصورة غير مباشرة، وفي إطار يحقق الجمال والجلال، في أن واحد.

تضم المجموعة (المترجمة) سبع قصص، بعضها من تجارب الحياة اليومية، وبعضها الآخر من السيرة النبوية الشريفة،



والقصة والرواية والمقالة النقدية. كما عالج الترجمة إلى العربية، ومن العربية إلى التركية. وساعده على ذلك دراسته اللغة العربية والأدب العربي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عقد التسعينيات من القرن الماضي.

وقد تأثر علي نار بكبار شعراء الأتراك، وأدبائهم من أمثال فضولي، ويونس أمره، ونسيمي، ونافع، ونديم، والشيخ غالب، وعبدالحق حامد، ومحمد عاكف، وأحمد هاشم، ويحيى كمال، ونجيب فاضل، وجليبي، ومعلم ناجي، وجناب شيخ ذوات، وغيرهم.

ومن إنتاج علي نار الأدبي ديوانه أسطول الأذان، وروايته مملكة النحل، ومجموعته القصصية بحر الدم، التي احتوت مآسي المجتمع، وابتعدت عن التقاهة والعبث.

وعلي نار من الأدباء الإسلاميين الذين يستفيدون من الأشكال الأدبية المتجددة، سعيا منه لتقديم أدب متميز ومؤثر ومتنوع أيضاً.

### «باقة ياسمين.. أجمل قصص الأطفال»

ومجموعته القصصية باقة ياسمين تقدم نموذجا طيبا لأدب الطفل المسلم، الذي



الذي يجلس فيه وهو صغير يذكر الله ويسبحه، وكان قلبه يقول: يا رب!.. يا مسبب الأسباب!..

شخصية يوسف كما نرى تتصرف تصرفاً يليق بمسلم، ويمثل صورة المسلم في أقواله وأفعاله، فحين يقرأ رسالة فيها خبر وفاة، يردد: إنا لله وإنا إليه راجعون!.

ثم يقول: هو الذي يعطي، وهو الذي يأخذ.

في تضاعيف القصة ونهايتها، ترتبط البداية بهذه النهاية من خلال رحلة الحياة، والإيمان بالقضاء والقدر: قدر مكتوب ومختبئ في بذرة!.

وتفكر بالأجل والسبب الأول، وهمس في خشوع: يا مسبب الأسباب.. يا الله!..

إيقاع القصة وسردها البسيط، وتتابع الأحداث، تعطينا الدلالة بصورة مقنعة لا هتاف فيها ولا وعظ، فضلاً عن الصياغة الجميلة التي تقترب من الشعر.

«توجد في الدنيا أسماء كثيرة، وناس كثيرون، ويوجد طفل اسمه يوسف، كان ولداً محبوباً جداً، عيناه جميلتان مثل خرزتين لامعتين، وكلمته شفافه كالبلور، وشعره مسترسل جميل، وأسنانه مثل حبات اللؤلؤ».

له أبوه: «إذا زرعت بذرة هذا الخوخ في البستان فسوف تعطيك هذه البذرة آلاف من الخوخ!.. في داخل هذه البذرة تكمن خوخات كثيرة، وتوجد شجرة الخوخ الكبيرة.»

«يوسف لم يفهم الهدف من هذا الكلام، ولكن من أجل أن يأكل خوخات كثيرة زرع تلك البذرة.»

وتمضي القصة في رصد حياة يوسف الذي ذهب فيما بعد إلى مدرسة دينية، يكبر يوسف وتكبر شجرة الخوخ، وتتفرع وتعطي ثماراً وفيرة، حتى هربت ولم تعد تعطي خوخاً، وهجرتها الطيور إلا طائراً بنى عشه فوقها، وفرخ مرات، وربى فراخه حتى طارت. ويوسف صار جَدّاً، وجلس في المكان

رابطها بالإيمان الخاص والتصور الإسلامي الناضج، فهناك دعوة إلى العمل والصبر، وربط الأسباب بالمسبب؛ وهو الله سبحانه وتعالى. وهناك دعوة إلى الجهاد وبناء القوة للدفاع عن الدين والأوطان، وهناك دعوة للاهتمام بالمخبر قبل المظهر، وربط الأخلاق بمخافة الله قبل الخوف من الناس، وهناك حث على التعاون البناء والتعمير وتحقيق الأمن، وحب النظافة والطهارة، واستخدام العقل في مواجهة القوة الفاشية، للتغلب عليها.

### «شجرة الخوخ»

في قصة شجرة الخوخ مثلاً نطالع قصة يوسف، الطفل الجميل الذي يحب الخوخ، فيقول



## «الهجرة الكبرى»

مفهوم الزمن في قصة الطفل هنا يبدو في العديد من القصص ممتدا، يرصد حياة كاملة من الطفولة حتى الشيخوخة، كما رأينا في قصة شجرة الخوخ. وكما نرى في القصة التالية لها، وعنوانها: الهجرة الكبرى، وهي تحكي قصة خلق الإنسان، مروراً بإرسال الأنبياء والرسول، والانتقال من الجنة إلى الدنيا، وربط ذلك بدورة الحياة في الطبيعة بشراً وحيوانات، وكواكب وجمادات، وغيرها. ثم تتوقف عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وقصة الوحي، والصراع بين المشركين والإسلام، والطريق إلى المدينة والهجرة، وأركان الإسلام وانتصاره، وربط ذلك كله بالطاعة التي هي طريقنا إلى الجنة، وكأن القصة تبدأ من الجنة وتنتهي إليها.

«الجنة موطننا الأول، ونحن نعبد الله سبحانه، لنعود إلى الجنة بإذنه تعالى».

هذا الربط الذكي بين البداية والنهاية، مع اتساع الفجوة الزمنية، يؤسس لقبول القصة لدى الأطفال، ولدينا نحن الكبار، أيضاً، وخاصة أن الكاتب حريص على أن يحترم لغة الفن الهامسة الهادئة المقنعة.

## «البطل المجاهد»

قصة البطل المجاهد تقدم لنا صورة من التراث الشعبي التركي الإسلامي، وطرفاً من الحياة التركية الإسلامية في زمن بعيد. شخصية القصة الرئيسية اسمها «بطال»، أو «سيد بطال»، وتعني بالعربي: السيد البطل، (التركية محرفة من العربية).

وتبدو بوادر بطولية «بطال» منذ صغره، فقد أرغم تلاميذ الكتّاب على احترامه، لقد تعلم وقرأ وتثقف، وفي الثالثة عشرة من عمره تصدى لقطاع الطرق مع أبيه، وأمسك أحدهم بشارك الحبل، وفي الخامسة عشرة سمع أن خليفة المسلمين الذي يدافع عن الدين يقيد أسماء شباب المسلمين في الجيش.

فذهب وقيد اسمه. وترقى في الجيش وصار يحارب أمام الجنود ولا يصاب بجرح!.. كان إنساناً غير عادي، وكان يعرف فن الحرب، ويحارب بإتقان، وكانت شجاعته ترهب العدو. يخوض «بطال» معارك عديدة ضد البيزنطيين، ويتعرض للأسر أكثر من مرة، ولكنه ينجو بفضل الله من قبضة أسريه، ثم شجاعته، ويلاحظ أنه بوصفه مجاهداً مسلماً يؤثر فيمن حوله، حتى في حراس سجنه، مما يؤدي إلى إسلام بعضهم.

لقد فتح «بطال» عشر قلاع قرب إسطنبول، وقتل القائد البيزنطي باراديس، ونال بعدئذ وسام الجهاد، أو الفايزي المجاهد، واشتهر «بطال» بعد ذلك اليوم في الأناضول كلها بلقب «بطال المجاهد».





التعاون والبناء والمشاركة الإيجابية.

في قصة «المنزل الجديد» يفكر الكباش والأرنب في بناء منزل جديد في الغابة للسكن، وينضم إليهما البط والديك، ثم الخنزير النجس، ويشارك الجميع في البناء حتى اكتمل، ويشعرون بالسعادة بوجود منزل يضمهم جميعاً، يوزعون الأدوار فيما بينهم لتسيير الحياة، ولكن ظهر مصدر للإزعاج في المنزل، وهو نجاسة الخنزير، كان يتبول في كل مكان في المنزل حتى على نفسه، وكان ينبعث من هذا رائحة كريهة جداً، مع أن الآخرين كانوا يقضون حاجتهم بعيداً عن المنزل في حذر وانتباه شديدين. واكتشف الأرنب مشكلة أخرى، أو عيباً آخر في الخنزير، وهو أكله



للنجاسات.

### «المنزل الجديد»

وحكى الديك عيباً ثالثاً، وهو أنه لا يستطيع مبكراً في الصباح، مما جعل الحياة في المنزل تبدو مستحيلة، وخاصة أن الخنزير لا يقوم بواجبه في تنظيف المنزل.

لعل أجمل قصص المجموعة ما كان أبطاله من الحيوانات، هؤلاء الأبطال يقدمون دروساً عملية في العلاقات الاجتماعية، وتأسيسها على القيم الجميلة التي تؤدي إلى

إنها شخصية شعبية إسلامية، وليست «السوبرمان» الغربي، فهي تتأثر وتتفعل، وتحارب فتنتصر كثيراً، وتؤسر أحياناً، ولكنه في النهاية يقدم من خلال الإخلاص والعقيدة بطولية نادرة، تتحدث بها الركبان في أرجاء تركيا الإسلامية.

### «نصر الدين خوجه (جحا)»

أما شخصية جحا التي اشتهرت في العالم العربي لارتباطها بالنوادر والفكاهات الضاحكة، فإن علي نار يقدمها في أصلها الشعبي التركي، في صورة شخصية إيجابية عملية، تملك مفاهيم راقية ومتقدمة. اسم شخصية جحا في التركية (نصر الدين خوجه)، وكان في طفولته متفتح الذهن، وكان ذكياً جداً، يدقق في كل كلمة تصل إليه، ويفهم معناها، ذهب إلى المدرسة، وحفظ القرآن، وتعلم العربية، لمع ذكاؤه وصار ولداً شديداً الحيوية، مشاكساً، تصعب السيطرة عليه، وكان يمزح كثيراً، وكان متفوقاً في دراسته، مما جعل شيخه يعينه عريفاً على زملائه، ومن خلال

علاقته مع شيخه يتعلم دروساً سلوكية وخلقية رفيعة، يطبقها في الحياة. وكلها نابعة من الإسلام وتصوراته، وتقدم لنا بعض المفارقات مواقف (جحا) التركي، الملتزم بدينه، والواعي بمجتمعه وقضاياها.

صنبور» جنوده أن يقوموا بتنظيفه، وأهم الجنود: الماء والصابون والليف. ونرى الولد وهو في الحمام والجند يقومون بتنظيفه، حتى صار نظيفا، يلبس ثوبا نظيفا، شعره صار كالحرير يعبق بالعطر الفواح، وصار جميع الناس يقبلون عليه، ويفرحون به، حتى الحلوى والشاي والنعل والأشجار والأطيار كلها تحيط به وتناديه، وترحب به.



#### «حنفية الماء»

القصة الأخيرة في المجموعة جاءت في صياغة شعرية مباشرة، وعنوانها «بابا صنبور»، أي حنفية الماء. وتحكي قصة طفل لا يحب النظافة، فيهرب منه أصدقاؤه وزملاؤه، لأن رائحته كريهة. ويتساءل عن سبب الهروب الذي كان خافيا عليه، ولكنه يرى أن كل شيء في البيت غاضب عليه، بدءا من المكواة والفرشاة والملقاط... الجميع يطلبون منه مغادرة البيت.

ولكن «بابا صنبور» يناديه ويتحاور معه، ويخبره بسر غضب البيت والناس عليه، ويقدم له أمثلة على حب الحيوانات للنظافة، ويأمر «بابا

وعندما حاول الكباش والأرنب والبطة والديك إقناع الخنزير للقيام بواجبه، والتخلي عن عيوبه السيئة، لم يستجب لهم، وقال: أنا لا أستطيع أن أغير من حياتي، ولا أقدر أن أكون نظيفا، ومن كانت لا تعجبه الحياة في المنزل فليبحث عن منزل آخر!». قال الأرنب وهو يمسح على شاربيه: نعم سنبحت عن منزل آخر.

وخطط الأصدقاء لإزاحة الخنزير، فوقع في شر أعماله، حيث التهمه الأسد، وعاش الأصدقاء الأربعة حياة سعيدة نظيفة.

#### «في الغابة»

وهناك قصة أخرى اسمها (في الغابة)، أبطالها القرد «الدجال»، والدب «النمرود»، والفيل «الفرعون»، والخنزير «أبو جهل»... (لاحظ دلالات الأسماء!). ومن خلال صراعاتهم، وتحديهم وظلمهم للحيوانات، والطيور الضعيفة، يقعون في قبضة الأسد، الذي يخلص الغابة منهم، إما بالالتهم، وإما بإرغامهم على الهروب. مما جعل أهل الغابة يشعرون بالسعادة، فقد تخلصوا من شرور الدجال والفرعون والنمرود وأبي جهل.

#### «وفي الختام»

لا ريب أن أدب الطفل المسلم يفتح نافذة مهمة للأدباء الإسلاميين، كي يخاطبوا الأجيال الجديدة، وبلغة الفن لا الوعظ، وبمنهج التصوير لا التقرير. وأعتقد أن مجموعة «باقة ياسمين» للأديب التركي علي نار؛ هي من هذا الأدب الذي يخدم قضية التربية والإسلام، في آن واحد، وخاصة أنه: أي علي نار، يملك الموهبة، فضلا عن القدرة على مراعاة المستوى اللغوي والأسلوبي للمرحلة التي يخاطبها، وهو ما جعل قصصه تبتعد عن المباشرة والجفاف التعبيري، والرتابة السردية ■